كان سياسياً.. شعراً وتأليفاً وموقفاً طول حياته

خير الدين الزركلي رغم حصوله على الجنسية العربية بقيت دمشق فرحته ودمعته وحياته التي أحبها

سوسن صيداوي

لأن الحراك الثقافي يمثل المؤشر الجدي لتطور أي مجتمع، ولأنه الحصن القادر على تجنيب هذا المجتمع الكثير من المشكلات، ولأنه عند غياب الامتلاء ثقافة وفنا وروحا سيكون المجال مفتوحا على مصاريعه لأي فكر هجين أو غريب لسدّ الفراغ، في كتاب يحوي مجموعة من الأبحاث التكريمية للشاعر الكبير، وصاحب كتاب الأعلام «خير الدين الزركلي... البداية» وفي إعدادها تم اختيار حوار مطول أجرته الدكتورة نجاح العطار في عام ١٩٦٩ في بيروت، والمحاور الأخرى كانت: ساعتان في حضرة الزركلي وقد قدمه الباحث الشاعر أحمد المفتي، كتاب الأعلام وقراءة في تاريخه ومنهجه قدمه دكتور الأدب بقسم اللغة العربية شفيق البيطار، قراءة فنية في شعره قدمها الدكتور حسن الأحمد أستاذ النقد القديم بقسم اللغة العربية، تطوافة على حياته وجهوده قدمها الدكتور إسماعيل مروة، وأخيراً مختارات من شعره.

والجدير بالذكر أن هذه الندوة صدرت بكتاب عن الهيئة العامة للكتاب، في ١٨٤صفحة، مقسماً إلى مقدمة ومحاور، بالإضافة إلى مختارات من ديوان الزركلي.

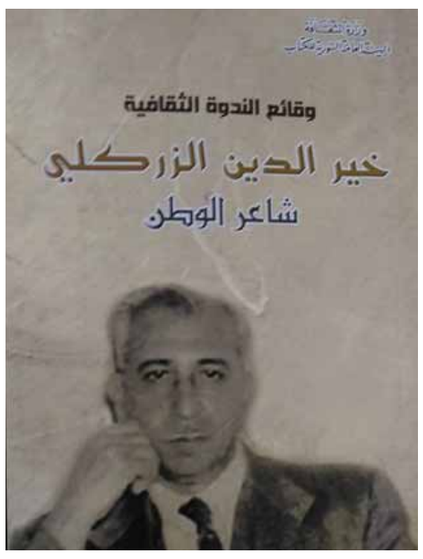

المحور الأول

كما ذكر تم اختيار المحور الأول وهو حوار أجرته الدكتورة نجاح العطار في عام ١٩٦٩في بيروت، حيث عرّفت أن الشاعر لا يحتاج في تذكيره بوطنه، لأن وطنه كان في قلبه، وقلبه كان مزارا تتقد فيه جمرة، وتسمع تراتيل، وترى دموع.. أما غناؤه فقد صار حنينا، وظل حنينا.

ريانة بالدمع أقلقها
ألا تحسّ كرى ولا وسنا
كانت ترى في كل سانحة
حسنا وباتت لا ترى حسنا
والقلب لولا أنه صعدت
أنكرته وشككت فيه أنا
ليت الذين أحبهم علموا
وهم هنالك ما لقيت هنا
ما كنت أحسبني مفارقهم
حتى تفارق روحي البدنا

تتابع الدكتورة العطار «دمشق كانت في القيد غير قادرة على المصافحة ولا المساعفة، وكان خير الدين الزركلي يعرف ذلك، ومن أجله عذر، وحنا، ومسح على الجراح، واستنهض الهمم، وتعذب... وطال عذابه لأن عذابها طال، ولأنه، قبل أن يذهب إلى المنفى، عرف معها هنا، قسوة الحياة في ظل السيطرة العثمانية، كما عرف، وشهد بنفسه، تصدّع الأرض تحت أقدام المسيطرين».

وعن لقائها معه تصف محيّاه وهدوءه الظاهر الذي يخفي في أعماقه تيارا يجري ويسيل شوقا معذبا وحنينا فتقول «وحين سعيت إليه في بيروت، خُيّل إلي أن الشاعر الكبير ينبعث من قلب التاريخ، وأنني، في جلوسي إليه، أجلس إلى التاريخ نفسه، وأقلب، مع كلماته، وصفحاته.. أراجع الأعوام، وأعود، مع الذكرى، إلى عهد الشباب، شبابه هو، ذاك الذي، من خلف الملامح المتغضنة الشائخة....» وتتابع «تهيبت الدخول، تهيب الكلام، رغبت عنه. كان يكفي أن أراه، هذا التمثال الإغريقي....» وبعدها «الشام؟ وكيف هي الآن، كيف الشام يا بنتي؟ حدثته عنها... كان يسمع حديثي؟ وأنا، كنت أسمع ما يقول؟ كلانا كان يبحث في الآخر عن شيء، يتكلم بلسانه، وبقلبه يفكر. يتكلم من قلبه، وفي قلبه يفكر. هو عاد إلى الماضي، الذكريات صدى السنين، وأنا عدت إلى الماضي، لا ذكريات، ولكن عن صاحبها أنقّب، أستكشف، أقارن....».

المحور الثاني

«الأعلام لخير الدين الزركلي «قدمه الدكتور محمد شفيق البيطار، وفيه قراءة في تاريخه ومنهجه باعتبار الشاعر علماً من أهم الأعلام في القرن الرابع عشر الهجري العشرين الميلادي، متابعا دكتور بيطار أنه كان شاعرا مجدا رائدا في شعره الوطني والقومي والإنساني، ومن أكبر شعراء القومية العربية، وأرقهم عاطفة، وأصفاهم أسلوبا وحول الكتاب يقول «واحد من أهم المؤلفات التي صدرت في القرن الرابع عشر للهجرة والعشرين للميلاد حتى اليوم. فالمؤلِّف والمؤلَّف معروفان ومشهوران لا يخفيان إلا على من لم يستضئ بشمس العلم وبدره، فما أصعب أن تصف إشراق الشمس، وحلاوة الشهد، وشذى الطيب، ورقّة الصوت، لذي عينين ولسان وشفتين وأنف وأذنين! وقد دُفعت إلى موقف محرج مهيب لأنني أعلم أن كثيراً من أهل العلم والباحثين، وأهل خير الدين وأصحابه وأحبابه، أعلم مني بالرجل وكتابه؛ ولذا يؤسفني أنني لا أكاد أضيف جديدا، ولكن لا أقول كما قال عبيد: (حال الجريص دون القريص)، إذ لابد من القول، ولهذا قسمت الكلام على عنوانات ثمانية:وصف الكتاب، تاريخه، مضمونه، منهج الإعلام ومزاياه، صياغة التراجم، رأي بعض العلماء في الكتاب، الاستدراكات عليه والتتمات، ما أعان الزركلي على إنجاز كتابه».

> دمشق الزركلي استنهاض للهمم وعذاب طويل قبل المنفى وبعده

المحور الثالث

في هذا المحور قدم الدكتور حسن الأحمد قراءة فنية في شعر الزركلي وجاءت تحت عنوان «الشعر الوطني عند الزركلي» معتبرا أن هذا الشعر وإن بدا محورا في إطار جغرافي ووجداني_له امتداد إنساني، ينتقل فيه الذاتي إلى الموضوعي، والجزئي إلى الكلي، برؤيا شعرية تجد في التجربة الإنسانية نقاطا مشتركة، قائلاً: «الزركلي من الأصوات الشعرية البارزة في مسيرة الشعر القومي والوطني، وكان في حياته وشعره الشاعر العاشق لوطنه، المتألم لمصابه، المناضل في سبيل حريته وكرامته واستقلاله، فضح ممارسات العثمانيين.. وفي الخامسة والعشرين من عمره يقول في قصيدة جريئة تنمّ عن وعي عميق بالأحداث:

عَتا أحفاد جنكيز فساقوا
سلائل يعرب سوق العبيد
فكم قتلوا من الأخيار صبرا
وكم ساقوا المهانة من عميد
وكم حملوا على الأعواد ظلما
وكم سقوا المنية من شهيد».

ويتابع متحدثا عن مرحلة الاستعمار الفرنسي عند دخوله دمشق عام ١٩٢٠، حينها عاش الزركلي مرارة جديدة وقال قصيدته الفاجعة مصورا فيها سقوط ميسلون:

الله للحدثان كيف تكيد
بردى يغيض وقاسيون يميد
تفذُ الخطوب على الشعوب مغيرة
لا الزهر يدفعها ولا التنديد
ما في دمشق لناهض من عزة
وبها سرادق غاضب محدود
خدعوك يا أم الحضارة فارتمت
تجني عليك فيالق وجنود
لهفي على وطن يجوس خلاله
شذاذ آفاق شراذم سود
أبرار السنغال تسلب أمتي
وطني ولا يتصدع الجلمود

هذا إضافة إلى أن د. الأحمد تحدث عن مقاومة الشاعر مع قضيته فلسطين منذ بدايتها، بوصفه الرمز والمثال الذي يحتذى به، ووقف موقفا حازما إزاء الحرب الأهلية في لبنان، وغنّى للجزائر.

المحور الرابع

قدمه الأستاذ أحمد المفتي وجاء تحت عنوان «ساعتان في حضرة الزركلي صورة عن قرب» وتطرق فيه للعديد من الأمور حول شخصية الشاعر وموقفه وقضاياه وحول هاتين الساعتين تكلم «لقد تعلمت في هاتين الساعتين الكثير الكثير... دخلت إلى دار العلامة الزركلي لأتناول معه الحديث عن ديوانه.. عن طباعته.. عن إخراجه.. عن مقاس الحرف، وعن نوع النسخ الذي يرغبه، وكان يفضل حرف النسخ (المونوفوتو) في تنضيد ديوانه، وعن الفواصل والعناوين ونوع الورق والتجليد وما إلى ذلك من شؤون الطباعة والفن.. وخرجت من عنده وأنا أدرك أنني إنسان آخر شدني إليه توثيق صلات وارتبطت عراه فكان ما كان».

المحور الأخير

هذا المحور خصصه الدكتور إسماعيل مروة للحديث عن حياة الشاعر وجهوده وكان عنوانه: «جمر أشعل الرماد» ومن بعض قليل مما ذكره، بأن الشاعر الزركلي أبى إلا أن ينسب لسورية فضل تصنيف أهم معجم في التاريخ العربي المعاصر، فكان معجم الأعلام الذي طبع في دمشق بطبعته الأولى، وقد قام على طبعه سيد الوراقين أحمد عبيد. متابعا في حديثه «عند الزركلي وطبقته من الشعراء والوطنيين لم يكن الوطن بقرة حلوبا يأخذون منها ما يريدون، بل كان الوطن طفلا صغيرا بحاجة إلى الرعاية والحماية من كل مكروه، ويقطعون عن أنفسهم لأجله، ويعطونه نتاج عملهم علاوة على نتاج وقرائحهم وفكرهم. قد تكون الوقفة مع شاعر كخير الدين الزركلي عادية، لكن الشاعر وما يحمله من مواصفات حوّلها من وقفة عادية إلى وقفة غير عادية، وغير تقليدية، وخاصة أن الوطن لا يزال ينجب الأبناء، ولا يزال عرضة للأخطار فهل نصل إلى هذه الأخلاقيات الوطنية المميزة بكل ما فيها؟!».

داء العصر

د. اسكندر لوقا

إن شعور المرء بالتفوق، حين يكون مستمدا من واقع موضوعي بكل ما تعنيه الكلمة، لا يمكن أن يدل على مجرد حالة عابرة، بمقدار ما تكون حالة موضوعيّة مستمدة من شعوره بـ«أناه». وفي سياق هذا الشعور يكون التركيز عادة على الذات، وأحياناً، سببا في جعله غريبا عن أقرب الناس إليه حتى إذا هم أظهروا له غير ما يضمرون في أعماقهم، من قبيل المسايرة.

وما يجعل التفوق حالة مقبولة في حال مورست على أرض الواقع بتواضع يختلف عن الشعور بالفوقية، أعني الحالة التي تضع حدا فاصلا بين المصاب بتبعاتها وبين من هم حوله. إن ممارسة الفوقية ظاهرة مرضية ليست غريبة عن المجتمعات العربية عموما، وخصوصاً في المجتمعات التي لا تعاني نقصاً في موارد معيشتها، لكونها تملك المال والثروات الأرضية، وتعمل على جعل الآخرين بحاجة إليها.

وفي زمن الحروب، غالبا ما تتفاقم ظاهرة الفوقية عند البعض من الناس، وخصوصاً عند الذين استغلوا أو يستغلون الفرص للإثراء غير المشروع وذلك باتباع أساليب تجعل الآخرين يقتنعون بأنهم حقا هم من صنف آخر لا يمت إليهم بصلة. هذه الحالة هي سبيل إلى الانفصام في شخصية المجتمع الذي يحترم كرامة الإنسان ولا يضع شروطا لإنسانيته، سواء أكان من فئة الفقراء والمعوزين أم من فئة الأغنياء. ولهذا الاعتبار يزداد الشرخ في المجتمع مع حالة الانفصام، ويزداد حجم النقمة، لا الحسد فقط، عند البعض تجاه البعض الآخر.

في الوقت الراهن، وبلدنا يخوض حرباً شرسة في مواجهة أعدائه من الخارج فضلا عن بعض الداخل، يحتاج إلى إزالة الفوارق بين شرائح المجتمع، بحيث يُغلب العدل على سواه، مع الأخذ بعين الاعتبار، حق المرء المجتهد بأن يمارس متطلبات التفوق لا الفوقية. في الحالة الأولى تتحقق العدالة على حين تسقط العدالة في التجربة في الحالة الثانية. وبمقدار ما يكون التوازن بين هاتين الحالتين لجهة المواطن في الوطن الواحد، يكون العدل بين الناس.

في هذا السياق، أقرأ للأديب الفرنسي أونوريه دو بلزاك «١٧٩٩– ١٨٥٠»: إن داء عصرنا هو التعاطي مع الناس بفوقية هي نقيض التفوق بالجهد الصادق الذي نبذله في الحياة. وأضيف: لا تزال هذه الرؤية تأخذ معناها حتى يومنا هذا ونحن نرى ونقرأ عن المصابين بهذا الداء، داء الفوقية، بيننا.

برجك اليوم ٧/١٨

نجلاء قباني

الحمل: اليوم سعيد على الصعيد المالي نتيجة جهود قمت بها سابقاً لإصلاح مواردك ولكنك قد تتعرض لمصاريف إضافية غير متوقعة أو عطل لأجهزة يجب عليك إصلاحها.

الثور: تسعدك جاذبيتك وتستقطب الأنظار وقد يتلازم المسار العاطفي مع العائلي ليحملا الفرح وتصادف ظروفاً مناسبة للوصول إلى قرارات ستجعل هذا الشهر مميزاً بقراراته.

الجوزاء: حاول أن توفق بين مشاعرك وما تعرف وأن تكون متأكداً منه بالفعل بعيداً عن القيل والقال ولا تناقش الأشخاص الذين يجيدون النميمة فهؤلاء سيحملون لك الطاقة السلبية.

السرطان: الفرصة متاحة للتعرف على الأشخاص الغرباء في مكان عملك أو أثناء سفرك أو نشاطاتك الاجتماعية فأنت في الشهر الأفضل للإشراق والسحر الذي يلمسك بأصابعه.

الأسد: قد تحاول التغيير في أمورك الشخصية أو في عقار أو تتمنى تغيرات لا أظنك ستنالها وهذا يجعلك تتراجع عن مشاريع قررت الإقدام عليها واحذر من شجار قد يرتفع صوتك فيه.

العذراء: اغفر وسامح فقد تأخذ طاقة إيجابية ممن حولك أكثر مما تبثها أنت نفسك وإذا كنت تبحث عن سفر أو عن أمر يخص التعليم أو نتائج امتحانات فالحظوظ مساعدة.

الميزان: أنت تتلقى المساعدات لتحقيق هدف كبير عن طريق أصدقاء يدعمون خطواتك فمن الجميل أن يساندنا الآخرون في تقديرنا للأشياء وتعبنا وجهدنا الشاق لنؤمن حياة مستقرة.

العقرب: حاول أن تتجنب الخلافات أو القطيعة نتيجة حساسية أو عصبية أو قرار متسرع وقد تأجل بعض المشاريع أو تصطدم بالعراقيل أو تدخل في صراع مع سلطة أعلى من سلطتك.

القوس: انتبه إلى صحتك وعملك ولا تجازف حيث لا يجب وانتبه إلى إهمالك الصحي المعتاد فأنت لا تسمع النصائح وتعتبر أن جسدك الحديدي لا يمكن أن يحتاج إلى الراحة.

الجدي: لا تترك أمورك معلقة من دون حلول أنه كل ما تستطيع أن تنهيه منها فالحظوظ تدعمك وخاصة في أمورك العملية فأنت تشغل عقلك وتغتنم الفرص وتبني على أسس ثابتة.

الدلو: ابتعد عن الحمم التي تصبها على محيطك العائلي فقط لأنك غير راض عما يحصل فأنت مشغول بأمور عائلية على حساب العواطف والمشاعر وقد تبدو بارداً وفاتراً.

الحوت: حاول أن ترمم علاقاتك وتصالح أصدقاءك وتقترب من أهلك وعائلتك وستستطيع إحكام سلطتك على أمورك العاطفية والعائلية وستبدأ حملة مصالحات واستعادة علاقات.

كلمات متقاطعة

أفقي:

١– روائي مصري– إله فرعوني.
٢– تقى– ضمير نصب منفصل– نَهَضَ.
٣– عملة آسيوية (م)– من الأقمشة– علم مذكر.
٤– رأي حكيم– حروف متشابهة– للنداء.
٥– أخلاق متأصلة– مرض قاتل– من أخوات إن.
٦– جميل الشكل– موجع.
٧– تود (م)– دولة عربية– أحد الأقارب.
٨– نعم بالأجنبية (م)– تلتهم– سارت.
٩– نوقع (م)– أضيف.
١٠– طريق صعب العبور– حاذق.
١١– أرفع– طحين (م).
١٢– مُسِن (م)– ألتف– يسأم.

عمودي:

١– ممثل مصري راحل– حجر كريم (م).
٢– شرياني– شجر ضخم– طليق.
٣– نصف سعيد– يتوفى– فاز عليه.
٤– حاجز– اكتمل.
٥– ذهب إلى– مدينة إيطالية.
٦– حروف متشابهة– جدها في مباركة– رقيق.
٧– بيتي– جدها في المتنورون.
٨– نصف سماك– نعم بالأجنبية– شف (م).
٩– جزيرة شهيرة بالشاي– نجيعي.
١٠– جدها في قواتنا– يفاقم (مبعثرة).
١١– مغنٍ لبناني– هدّ وحطم.
١٢– قائد ثورة وشهيد عربي.

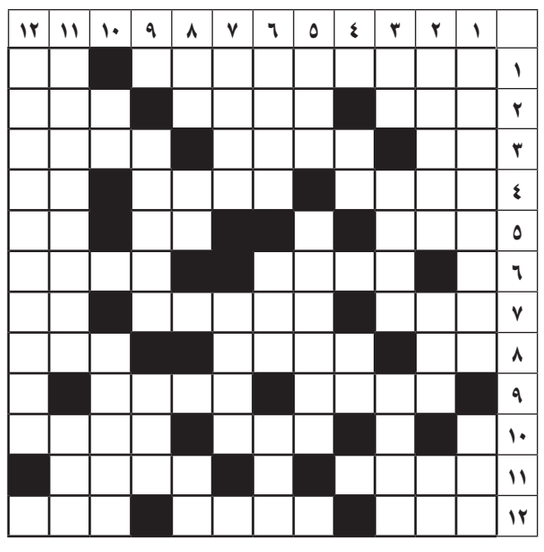

الحل السابق:

	١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠	١١	١٢
١	ج	و	ر	ج	ك	ل	و	ن	ي	■	م	ل
٢	هـ	ر	■	و	■	ص	هـ	■	و	ث	ا	ق
٣	ا	ي	■	د	ر	و	ب	■	ن	ي	ر	■
٤	د	د	■	■	ق	ص	■	■	س	ا	ب	ا
٥	ا	ي	ا	د	ي	■	ا	ع	ش	ب	■	د
٦	ل	■	ن	ي	ب	■	ع	م	ل	■	د	و
٧	ح	ج	ا	ن	■	م	ت	■	ب	ن	ا	ا
٨	س	ا	م	■	■	ر	ن	■	ي	ب	ر	ر
٩	ي	ا	■	هـ	ر	و	ا	ج	■	ي	ي	■
١٠	ن	ت	ع	ا	و	ن	■	ا	ق	ل	ا	م
١١	■	■	ص	■	م	هـ	ا	م	هـ	■	■	م
١٢	ا	ف	ي	ا	ا	■	ا	ع	ر	ف	هـ	م

كلمة السر

و	ي	ت	ل	ا	ا	ا	م	ل	ق	ر	ح
ل	ب	ت	ع	و	ل	ل	ذ	ى	و	س	ل
م	ي	ش	ف	ع	ت	ا	ك	و	و	ي	م
م	ل	ب	ا	ر	ض	ن	ر	ب	ت	ن	ق
ن	ا	د	ة	س	ح	ع	ا	ع	ع	ي	د
ك	ء	ق	ل	ا	ي	ل	ت	ض	ط	خ	م
ء	ي	ا	ش	ء	ا	ا	ل	ا	ت	ي	ت
ي	ر	ء	ا	ل	ت	ق	ا	ن	س	ر	ه
ش	ب	ق	ف	ر	ف	ة	ا	ا	ا	ا	ا
ل	ل	ا	م	ت	ل	ك	ن	و	و	ت	ي
ج	ا	ك	ل	ب	ح	ك	ب	ع	ف	ن	ت
ا	ل	ي	ي	ن	م	ل	ح	ق	ك	ع	م

كلمة السر مؤلفة من ١٢ حرفاً: أشهر روايات أمين معلوف.

(لم تنفع كل التضحيات التي قدمتها من أجل حبنا... ولم يشفع لي تاريخي البريء معك... واستطعت حرق كل شيء بدقائق... وأنا الآن لا أمتلك منك سوى مذكرات علاقة فاشلة... وبعض رسائل حب... وعتب...)

SUDOKU

		4			7			2
3		5		2		7		
6				9				3
8	6		3					1
5								4
1					5		8	7
7				8				9
		1		5		4		8
4			2			6		

تتألف اللعبة من تسعة مربعات كبيرة داخل كل منها تسعة مربعات صغيرة، يجب ملء المربعات الصغيرة بالأرقام على ألا يتكرر الرقم أكثر من مرة في كل مربع كبير وفي كل خط عمودي وأفقي.

الحل السابق:

3	2	1	8	5	4	6	7	9
7	5	6	2	3	9	4	1	8
8	9	4	6	7	1	2	3	5
9	7	8	5	1	6	3	4	2
4	3	5	9	2	7	8	6	1
6	1	2	3	4	8	5	9	7
5	4	3	7	9	2	1	8	6
1	8	9	4	6	5	7	2	3
2	6	7	1	8	3	9	5	4

الطقس

	اليوم	غداً
دمشق	٣٨°/٢٦°	٣٦°/٢٥°
حمص	٣٥°/٢٤°	٣٣°/٢١°
حلب	٣٧°/٢٤°	٣٤°/٢٣°
اللاذقية	٢٩°/٢٧°	٢٩°/٢٦°
السويداء	٣٢°/٢٣°	٣١°/٢٣°
الحسكة	٤٤°/٣١°	٣٩°/٢٨°

من هو؟

ممثل مصري كوميدي:

٣ + ٨ + ١: يشعر.
٢ + ٦ + ٤: رجعَ.
٧ + ٥: حرامي.

١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨

الحل السابق: رنا جمول